جوزف مجدلاني في الصالون الادبي
حديث عن علم الذات الباطن

منذ وجود الانسان على هذه الارض، كانت معرفة ذاته الباطنية همّه الاول. فشعوره بالاستطلاع والتعمق في خفايا نفسه ايقظا في داخله توقا الى فهم العالم الباطني في جوانبه اللامنظورة. هذا الشعور بقي متغلغلا في زوايا النفس الانسانية حتى ظهر على لسان الفلاسفة متمثلا بحكمة ارسطو «إعرف نفسك» ومتجليا بقول شكسبير: «ادخل الى اغوار نفسك ، اقرع الباب، وسل قلبك ماذا يعرف» وبمقولة سينيكا: «رايك في نفسك أهم كثيرا من راي الآخرين فيك».

وفي عصرنا الحاضر، لم تتمكن التكنولوجيا الحديثة باساليبها المتطورة من خنق توق الانسان الى معرفة ذاته ودراسة مكنوناتها. وفي هذا المجال، كانت «جمعية حكماء جبال الجملايا» العالمية قد اخذت على عاتقها مهمة دراسة الذات الانسانية لتوضيح الظواهر الفوطبيعية التي تغرق العقل البشري في متاهات صاخبة وتعيد الانسان الى جادة الحياة الطبيعية والاطمئنان النفسي. ومن هذه المؤسسة الفكرية تفرعت جمعيات كثيرة منها «جمعية اصدقاء المعرفة البيضاء» التي تاسست في لبنان العام ١٩٨٨

رئيس الجمعية جوزيف مجدلاني او (ج. ب. م) كما يظهر على قرائه من خلال مؤلفاته الثمانية عشر، هو مؤسس علم الايزوتيريك في لبنان، وقد استطاع ان يوضح هذا العلم الصعب في ندواته الاسبوعية التي يقيمها في بيروت وفي جميع انحاء لبنان.

وبدعوة من صالون «فضيلة فتال الادبي» القى مجدلاني محاضرة بعنوان «الهالة الاثيرية او العقل الكهرطيسي حول الجسد ـ اسباب وجودها ـ وظيفتها في الكيان البشري ـ وتاثير الالوان والموسيقى فيها». وذلك بحضور شخصيات فكرية وادبية ومهتمين بدراسة النفس الانسانية وعلم الانسان.

استهلت صاحبة الصالون الندوة بكلمة اختتمت فيها الموسم الثقافي «لندوة السبت» التي انشاتها منذ العام ١٩٨٨، «مجددة الايمان بالكلمة ـ الحق التي كانت بردا وسلاما على قلوبنا العطشى للحب والسلام والحرية، مع نخبة من اهل القلم والعلم عاشوا في رحاب الانسان الباطن الذي تجرد من المادة وعشق الحق والقيم ساطين في ظلال «الصداقة البيضاء» والمعرفة الناصعة التي نحن بامس الحاجة اليها في هذه الظروف لبناء وطن الانسان ـ على اسس من المحبة والعدالة والمساواة... ومتى كانت المعرفة بيضاء كثلج لبنان طهرا ونقاء، سعد المجتمع وارتقى الشعب الى اعلى درجات من التقدم والازدهار، ورفرف السلام بجناحيه فوق هذه الارض ليغمرها بالرفاهية والطمانينة والسعادة...»

بدا مجدلاني محاضرته بشرح مفهوم علم الايزوتيريك او علم الذات الباطنية في الانسان. «فهو علم الانسان قبل ان يكون علما انسانيا يعالج جميع نواحي الحياة المعرفية وكل ما توصل اليه الانسان في حياته العلمية من معارف. انه علم المكونات الغامضة الخفية واللامنظورة من عالم الباطن الانساني كما هو علم الجسد المادي، وعلم الحياة الانسانية كما يجب ان تعاش الحياة»...

ويؤكد علم الايزوتيريك الذي صار علما قائما بذاته منذ القدم يعرف باسم «les sciences Esotériques» او علوم البواطن والعلوم الخفية ان الكيان البشري اشمل من ان يحد بالمادة وبالعلم المادي والنظريات المادية. لان الكائن الانساني كون متكامل يشمل الخفي واللامنظور، كما يشمل المادي والمنظور، ومن هذا البعد الخفي واللامنظور، تبرز المكونات الباطنية او الاجسام الخفية التي ما زال العلم في عصرنا الحاضر يبحث في تحديدها ومعرفة ماهيتها، الا انه لم يستطع ان ينفي وجودها. فعدم رؤية الشيء لا يعني عدم وجوده».

ويضيف: ان كلمة الايزوتيريك يونانية الاصل والمنشا، تعني الخفي والخاص من العلوم التي يصعب ادراكها. وقد اطلقت قديما على العلوم الخاصة التي كانت محصورة في طبقة الملوك والنبلاء من المجتمع دون سواهم». ثم اوضح مجدلاني ان هذه المكونات الباطنية اللامنظورة هي التي اوجدت الهالة الاثيرية التي لم يكن العلم المادي يملك الدليل الملموس على وجودها، الى ان تمكن المصور السوفياتي كيرليان في اواسط هذا القرن من ابتكار آلة تصوير على درجة عالية من الدقة والتطور قادرة على التقاط صورة الهالة الاثيرية، او الحقل الكهرطيسي المحيط بالجسد. ومنذئذ، اعتمد العلم الحديث وجود الهالة الاثيرية...

وفي منطوق هذا العلم الباطني ان الكائن الانساني يحوي خمسة اجسام باطنية، اضافة الى الهالة الاثيرية او الجسد المادي وان العلم الحديث في طريقه الى اكتشافها وهذه الاجسام هي:

- الجسم الكوكبي اي جسم المشاعر والعواطف في الانسان.
- الجسم العقلي.
- جسم المحبة: اي وعي السلوك الروحي في الانسان
- جسم الارادة
- الروح او (الشعاع الروحي).

واشار الى ان علوم الايزوتيريك لا تطالب بالايمان الاعمى. فهذا ليس درب الوعي، فهو علم السبب والنتيجة والشمولية في كل شيء. وهذا ما بدا العلم الحديث التعرف اليه انطلاقا من الهالة الاثيرية المحيطة بالانسان والتي هي كناية عن تجمع ذبذبات ذات درجة وعي تتناسب ودرجة تذبذبها. وهي تتخلل الجسد المادي وتحيط به لتحافظ على مكوناته ولتمدها بالحياة والعناصر الطبيعية لبقاء الجسد على قيد الحياة. «فالهالة الاثيرية توفر الصحة للجسد من الهواء واشعة الشمس ومقومات الطبيعة، او بالاحرى، انها تعكس حالة الانسان الصحية والنفسية العامة بحسب درجة الوانها، كما يراها من تفتح لديه البصر الباطني او «العين الثالثة». ثم قدم تعريفا عمليا اكد فيه للحاضرين وجود الهالة الاثيرية كاداة لمس او اداة الوعي التي يتلقى عبرها المرء ما يسمى بالحاسة السادسة، شارحا الوسائل الكفيلة بتقوية الهالة وفي طليعتها الموسيقى والالوان منوها بهذا السر في ضوء اسلوب تطبيب علم النفس الحديث، ومن خلال كتابه «علم الالوان» الذي صدر حديثا عن منشورات المعرفة البيضاء.

ومما قاله: «ان الهالة الضعيفة تعرض صاحبها للامراض وتجعل الجسم سقيما قلقا لا يعرف السعادة. ولذلك ينبغي على الانسان ان يحافظ على تقوية هالته للبقاء في صحة سليمة.

ويبين مجدلاني كيف تتاثر الهالة بالموسيقى والالوان وكيف يتم التفاعل بينهما في قوله: «لكل نغمة موسيقية درجة تاثير في الهالة، وذلك حسب تذبذبها. ولكل درجة تذبذب تاثير في نفسية الانسان... كما ان لكل لون درجة تذبذب ودرجة تاثير في الهالة. ويستطيع الانسان ان يلاحظ ذلك في حياته اليومية، وخاصة تاثير الالوان وتامل اللوحات الفنية والطبيعية في نفسيته»...

«هذه النظرية التي قال فيها علم الايزوتيريك منذ الماضي السحيق، اقرها مؤخرا علم النفس الحديث ومنها ان استماع الحوامل الى الموسيقى الهادئة لمدة ساعة او اكثر يوميا طوال اشهر الحمل، يساعد على اضفاء الراحة والهدوء على الجنين... فالجنين اذ يولد ويبصر النور، يتمتع بالرزانة والسكون اكثر مما يتمتع به من لم تستمع والدته الى الموسيقى».

وختم حديثه بالقول «ان علم الايزوتيريك ليس علما نظريا بل تطبيقيا، لان المرء يتحقق من النتائج اثناء دراسته هذا العلم وممارسته التمارين الخاصة به. وكل ذلك يراه في منشورات «اصدقاء المعرفة البيضاء» التي بلغت حتى الآن ثمانية عشر مؤلفا تشرح علوم الايزوتيريك من كافة جوانبها وهي متوافرة في المكتبات».

ان تعمق او تجذر الايزوتيريك في علم النواحي الخفية من الباطن الانساني ومن كل علم آخر ليثير في نفوسنا شعورا غريبا واحساسا بالدهشة ان هناك شيئا غير منظور من باطن الانسان الذاتي يشكل المقومات الجوهرية التي يتالف منها الكيان الانساني. ومما يعتقد ان هذه المكونات الباطنية كانت موجودة قبل الجسد وستبقى بعد فنائه، لانها هي الانسان الحق ـ الانسان الخالد الذي لا يفنى ولا يزول بزوال المادة.

انطلاقا من هذه المعتقدات بدا مجدلاني ـ يحاور ويناقش الحشد الكبير الذي شارك في الندوة من رجال علم واختصاص.

علق الاديب السوري نوفل عمار على مسالة الفصل بين الروح والمادة بقوله: «ان المادة والروح صنوان لا يفترقان. فلا مادة بلا روح، ولا روح بلا مادة. ومن الاحادية جاء الواحد ومن الاحادية جاءت الاثنية. وهكذا، فان النفس والروح اسمان لمسمى واحد، وليس ثمة من فرق بينهما.

اما الاستاذ مجدلاني، فقال: «ان الروح ليست هي الهالة الاثيرية التي تحدثنا عنها، وهناك فرق شاسع بين النفس والروح. فالروح للانسان والنفس للاشياء. والاثنان متلاصقان في كيان الجسد البشري الذي يتالف من سبعة اجزاء باطنية. ولكن الروح هي اعلى شيء واسمى شيء. وهناك فارق بين الهالة والروح: فالهالة يمكن ان ترى والروح هي المكنون الجوهري الخفي في اعماق النفس. فهالة الانسان هي شعاع نوراني يحيط بالجسد، بل هي غلاف اثيري يمتد حول الجسد بمسافة لا تزيد على ثلاثين سنتم تقريبا.

● الآنسة مي الايوبي: تساءلت عن تاريخ علم الايزوتيريك وعن الغاية من تاسيس مركز له في «جمعية اصدقاء المعرفة البيضاء» في لبنان.

يوسف مارون